

الشيعية والسنة: ضجة مفتعلة^(١)

العلاقات الإسلامية — الإسلامية واحدة من القضايا الحيوية لمستقبل الأمة الإسلامية، والعلاقة بين أتباع المذاهب الإسلامية إحدى موضوعات هذا الملف المهم الذي يصعد من آن لآخر ليحتل قمة أولويات النشاط الإسلامي في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه، ومنذ أسس الإمامين البنا والقمي دعوة للتقريب بين المذهبين الإسلاميين الكبيرين: الشيعة والسنة، والقضية مطروحة يكتب فيها كثيرون تدفعهم دوافع شتى. غير أنه مع قيام الثورة الإسلامية في إيران طرحت من جديد قضية العلاقة وآفاق تطورها. وكما كانت مصر أحد جناحي دعوة التقريب بين المذاهب في نشأتها كان لمثقفها وعلمائها دور إيجابي في طرح الفكرة مرة أخرى. وكان من العلامات البارزة في تاريخ الدعوة للتقريب بين المذهبين صدور كتاب "الشيعة والسنة: ضجة مفتعلة ومؤسفة" وهو عمل فقهي وفكري متميز نشره باسم مستعار القيادي الفلسطيني الراحل الشهيد فتحي الشقاق (مؤسس تنظيم الجهاد الإسلامي) أثناء إقامته في مصر.

وتعدّ محطة "حزب الله" محطة شديدة الأهمية إذ كتب هذا الحزب بدماء شهدائه صفحة من تاريخ الوحدة الإسلامية في مواجهة هذا الحزب للكيان الصهيوني كانت كفيلة بإغلاق باب إلقاء التهم جزافاً بأن التشيع ظاهرة يهودية الجذور، فإن صناعة الفتنة ما زالت رائجة، ومنطق الوقعية ما زال له أنصار تؤدي مقولاتهم — قصدوا أو لم يقصدوا — إلى تسميم أجواء العلاقات بين أبناء الأمة "النور" طرحت القضية على بعض الرموز الإسلامية في مصر وكان هذا التحقيق:

❖ الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح:

(القيادي الإخواني البارز) قال: "إن العلاقة بين السنة والشيعة علاقة أخوة في إطار الإسلام والإمام الشهيد حسن البنا أسس نهج التقارب بين المذهبين الكبيرين

(١) مجلة النور الصادرة في لندن.

الذين يستظلمون بالإسلام وحدة جامعة. ونحن كإخوان مسلمين ما زلنا حتى الآن نسعى للتقارب وإزالة الحواجز. وقلنا هو قول العلماء والعقلاء: هم أتباع مذهب إسلامي وكل من يوافقنا منهم في أصول الاعتقاد فهو أخ لنا في الإسلام له كل حقوق المسلم التي يوجبها الشرع. ومن هؤلاء قطعاً أخوتنا في " حزب الله " ومحاولة الدس والوقية بين جماعات الأمة محاولات استعمارية حاولت عبر قرون أن تلعب على التناقضات، لا المذهبية فحسب، بل الدينية والعرقية، فأعداء الأمة يتمنون ما هو أخطر من انقسام شيعي— سني، إنهم يريدون تمزيق وحدة الأمة من خلال تخريب العلاقات بين أبنائها فيصبح المسلم ضد المسيحي والشيوعي ضد السني، والقومي ضد الإسلامي، والأقلية ضد الأغلبية وهكذا.

وختم الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح كلامه قائلاً: "مما يجب الوقوف عنده أن الحديث غير الموضوعي عن المذهب الشيعي والخلافات بيننا كأهل سنة وبين أتباعه يأتي في وقت غريب يجعله غير مقبول من الناحيتين السياسية والدينية، فحزب الله يقوم بدور في ساحة الجهاد ضد الكيان الصهيوني في جنوب لبنان يشرف كل مسلم، ولا يجوز طعنهم في ظهرهم، وبخاصة أن الموقف من المذهب الشيعي حتى قبل نشأة حزب الله هو موقف إيجابي، وكوهم شيعة لا يختلف كثيراً عن أن يكونوا حنابلة أو شافعية أو أحناف"



لا لتضخيم الظواهر الهامشية

المهندس أبو العلا ماضي

(وكيل مؤسسي حزب الوسط المصري يرى) أن المشكلة هي في تضخيم الظواهر الهامشية ومحاولة تصويرها كأنها موقف الأغلبية، والشطط موجود عند بعض أتباع المذهب السني كما هو موجود في الطرف الآخر، ومن أراد أن يرسم صورة سلبية لأي من الفريقين سيجد في التراث الكثير من الغث. لكن مثل هذا المنهج لا تبني

عليه تصورات لها صفة الدقة، فضلاً عن الصحة. ونحن في حاجة إلى تقوية الصفوف وسد الثغرات أما أعداء متربصين. كما أن قضية تقييم مذهب فقهي ما قضية علمية لا يجوز أن تتم بعبارات فيها تعميم لا يتحرى صاحبها الدقة بل تتم في محافل علمية بمصطلحات منضبطة. وعلى من يتصدى لهذه القضية الحساسة أن يستوعب دروس الماضي فالفرقة ضريبتها ضخمة وقد عانت منها الأمة وما زالت تعاني، والهدم أسهل من البناء، والتفريق أسهل من التوحيد. ولعل من المهم في هذا السياق أن أشير إلى أن تكفير أي مسلم قضية حساسة لها ضوابطها الشرعية، فكيف بتكفير أتباع مذهب إسلامي؟.



لولا السنتان لهلك النعمان

المستشار طارق البشري

ألقى الضوء على حقائق تاريخية وفقهية مهمة في هذه القضية فقال: المذهب الشيعي الجعفري مُعترف به رسمياً في مصر، وموسوعة الفقه الإسلامي التي تصدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر، أخرجت حتى الآن ٢٤ جزءاً على مدى ثلاثين عاماً تقريباً، تتضمن مادتها الفقهية ثمانية مذاهب، هي مذاهب أهل السنة الأربعة إلى جانب المذهب الظاهري والمذهب الإباضي والمذهب الزيدي، وهو أيضاً من مذاهب الشيعة، والمذهب الجعفري المنسوب للإمام جعفر الصادق. وهو مذهب الشيعة الاثني عشرية الذي تتحاكم به في غالب البلاد العربية الإسلامية ومنها إيران. وأذكر أن الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ جامع الأزهر في خمسينات القرن العشرين كانت له فتوى تتعلق بهذا الشأن، وموضوعها "المذهب الجعفري من المذاهب المعتمدة شرعاً" كما أن جهود التقريب بين المذاهب في الخمسينات قطعت شوطاً على يد علماء من المذهبيين.

وأضاف المستشار طارق البشري أن مما يذكر أن الإمام جعفر الصادق كان أستاذ الإمام النعمان بن ثابت المكنى بأبي حنيفة الذي كان يقول عبارة شهيرة هي "لولا السنتان لهلك النعمان" وهما السنتان اللتان درس فيهما أبو حنيفة على جعفر الصادق. كما أن الإمام زيد بن علي، هو صاحب مذهب شيعي معروف قريب من المذهب الحنفي.



لا بد من وقفة

حسين عاشور

مؤسس مجلة "المختار الإسلامي" القاهرية ومديرها المسؤول رفض أن تدار العلاقات الإسلامية _ الإسلامية بمنطق تبادل الاتهامات من دون تدقيق، وقال: كانت لنا تجربة في المختار الإسلامي تعرضنا بسببها لهجمات من أطراف كثيرة كانوا يرون جهودنا لتوحيد صف الأمة تبشيراً مذهبياً شيعياً، ونظروا إلى مساندتنا للثورة الإسلامية نظرة اتهام. والآن بعد أكثر من نصف قرن على إطلاق حركة مباركة للتقريب بين المذاهب ما زلنا نسمع مثل هذه التهم التي تلقى بلا تمييز، وهذه ظاهرة سلبية تحتاج إلى وقفة من العلماء وهم، بحمد الله، لا يألون جهداً في هذا السبيل. فغير مقبول أبداً أن تراجع مسيرتنا إلى مراحل تجاوزناها، وأنا أدعو الجميع إلى تحكيم قاعدة "نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه".



الشيعة رأس حربة ضد أعداء الأمة

محمد إبراهيم مبروك

قال: ليس هناك أدنى شك في أن الهجوم على الشيعة في المرحلة الراهنة التي يمثل فيها "حزب الله" وإيران رأس الحربة في الصراع مع إسرائيل والقوى العربية المساندة لها

يمثل ضرراً بالغاً بالأمة جمعاء. ونحن - معشر أهل السنة - مأمورون بالحكم على الناس بالظاهر، وظاهر القوم أن خلافهم معنا لا يصل إلى درجة التناقض العقائدي حتى نقول أنهم يمثلون ديناً مخالفاً للإسلام. فالأسس العقائدية لأهل السنة والشيعة واحدة تلخص في: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره، أما الخلافات حول الوصية لعلي أو أحقيته بالإمامة من أبي بكر، أو غيبة الإمام المهدي فهي أمور على هامش العقيدة أو ملحقة بها ولا يمكن أن تؤدي للحكم عليهم بالكفر. وألقى مبروك الضوء على حقيقة مهمة هي أنه لم يشتهر عن علماء السنة تكفير الشيعة الاثني عشرية، وشيخ الإسلام ابن تيمية رغم خلافه المعروف معهم، لم يقل في كتابه "منهاج السنة النبوية" بتكفيرهم.

أنصح الدكتور البري بقراءة "كتابته" عن الشيعة

على صفحات مجلة "المجلة" اللندنية (بتاريخ ٢٠٠٠/١١/٤م) نشر حوار مثير مع الشيخ الدكتور محمد عبد المنعم البري الأستاذ في جامعة الأزهر تناول فيه الشيعة بأوصاف وعبارات تستدعي التوقف، ولنا عليها الملاحظات الآتية:

١- وصف الشيعة بأنهم أتباع ديانة مختلفة لا أتباع مذهب إسلامي، وهو يخالف ما عليه غالبية علماء أهل السنة سابقاً ولاحقاً، بل يخالف ما كتبه هو نفسه من كتابه "الشيعة الاثنا عشرية في دائرة الضوء" الصادر في مصر عام ١٩٨٩ عن دار الحقيقة للإعلام الدولي. ففي مقدمة الكتاب المذكور يقول: "كما حرصنا ألا نلقي التهم جزافاً بغير تثبت وتمحيص، ولم نجعلهم متهمين في كل الأحوال، وفي كل ما تناولوه، ولم ننسج على منوال من رماهم بأنهم كلهم كفار بغير تفريق" (ص ٦).

فلماذا ساق أحكامه في الحوار المذكور من دون تفريق؟

٢- وصف الشيعة بأنهم جميعاً يعتنقون أفكار عبد الله بن سبأ رغم أنه في كتابه رفض تضخيم دور ابن سبأ في نشأة المذهب الشيعي، ورميهم بأنهم متأثرون بالفكر اليهودي، إذ يقول: "وقد أثبت البحث أن الذين ينسبون نشأة الشيعة

وفرقها وأصلها إلى اليهود مخطئون أشد الخطأ، فالدور الذي كان يمارسه عبد الله بن سبأ لم تنشأ الشيعة على أثره، بل ظهرت في وقت متأخر قليلاً، وأنها ظهرت كنتيجة طبيعية للأحداث التاريخية نفسها، وأن رأي ابن سبأ هنا كان فريداً، ومن تبعه سمووا في التاريخ باسم الغلاة أو السبئية، وينبغي النظر إليهم على أنهم فرقة خاصة" (ص ٨).

٣- وصف الدكتور كتب الشيعة - من دون تفريق - "بأنها مليئة بمخازي وفضائح و...". رغم أنه أقر في كتابه بأن "عد إحدى الفرق بأنها إسلامية لا يعني خلو ما تدعو إليه من الأمور الباطلة، ولكن يعني أن ما قالت به هذه الفرق - خلا الفرق الغالية - لا يخرج بهم ولا يوصلهم إلى درجة الخروج عن الملة الإسلامية" (ص ٩).

٤- تحت عنوان "هل الشيعة مسلمون؟" (ص ٣٩٤) يقول: "الشيعة قسمان: شيعة التاريخ، وشيعة الحاضر، أما شيعة التاريخ فتلك الفرق المتقدمة التي ذكرناها لك في أقسام وفرق الشيعة، ولا شك أن أغلبها غلاة، ولا نستطيع الحكم بإسلام هذه الفرق". وبعد أن يعدد هذه الفرق: السبئية والبيانة والمغيرية والحربية المنصورية والغرابية والمفوضية والشريعية والنمرية، يقول: "وهذه الفرق كلها اندثرت وليس على وجه الأرض - فيما نعلم - من ينتسب إلى الإسلام صراحة ويقول هذه المقولات" (ص ٢٩٥). ويضيف: "أما الشيعة في الحاضر فهم الفرق المتبقية من هذه الفرق التي ذكرناها، وبقيت حتى اليوم وهي فرق كبرى أشهرها الزيدية والإمامية ويعدها أغلب مؤرخي الفرق من المسلمين وعلى الأخص الزيدية، فهم أقرب الفرق إلى معتقدات أهل السنة وفقههم، فلا يخالفونهم إلا في بضع مسائل يسيرة. وكذا الإمامية الاثني عشرية والإسماعيلية فأصولهم واحدة، وإن اختلفت الفروع من فرق لأخرى". و"الذي نميل إليه في هذا المقام أن هذه الفرق مسلمة على الإجمال. وهو ما يميل إليه أهل الحديث الذين رووا عن الشيعة في كتبهم، وهم قد اشترطوا فيمن يروون عنه أن يتصف

بالعدالة، ومن أهم شروط العدالة: الإسلام، ولو أنهم حكموا بكفرهم ما رروا عنهم شيئاً" (ص ٢٩٦).

وفي الصفحة نفسها ينقل عن الإمام البغدادي في كتابه "الفرق بين الفرق": "وجميع فرق الغلاة خارجون عن فرق الإسلام، وأما فرق الزيدية و فرق الإمامية فمعدودة في فرق الأمة".

وبعد ما الذي تغير بين ١٩٨٩ و ٢٠٠٠ ولماذا تغير موقف الشيخ الدكتور في ما كتبه هو نفسه؟ ثم إنه يتحدث عن "حزب الله" حديثاً لا يمكن قبوله أخلاقياً، فالمسلم لا يتحالف مع الشيطان لأي هدف حتى لو كان مواجهة الصهيونية فالغاية لا تبرر الوسيلة. وحزب الله ليس الشيطان كما وصفه في حوار، بل هو حزب مجاهد طالما امتدحه في لقاءات عديدة كثيرة منها لقاء نظمته "اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية بלבنا" وهي لجنة طالما جمعتني بالرجل فسمعت منه كلاماً إيجابياً عن حزب الله كظاهرة إيجابية، لا كظاهرة شيطانية كما وصفها في حوار.

قَالَ الْأَمَامُ الرِّضَا (ع) :

إِنَّ الْأَمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ
وَنَظَامُ الْمُسْلِمِينَ
وَصَالِحُ الدُّنْيَا
وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ